الهزيمة النفسية: أثرها وخطرها على الدعوة الإسلامية

(The Psychological Frustration: Its Impact and Threat to the Call of Islam)

محمد شاه جلال

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش.

ملخص البحث

إن العزيمة النفسية من المقومات الرئيسية لنجاح الدعوة، فإنها تحرك الإنسان إلى العمل والقيام بدوره، وتكسبه التفكير بعزم وشجاعة، مهما اختلفت الظروف المحيطة به، فيكون شجاعا لا يجبن، صامدا لا يتراجع، مستعدا للتضحية بكل ما لديه من أجل الدعوة. وبعكسه الهزيمة النفسية فإنها تحطم طاقات الإنسان وقدراته من داخله، فلا يعمل ولا يجهد لأجل دعوته، إذ لا فائدة من هذه في رأيه، ويستسلم للعدو دون أي مقاومة، وهذا ما يتربصه أعداء الإسلام، فيعملون جادين لِبثّ الهزيمة النفسية بين أبناء الأمة الإسلامية بأساليب شتى، وما نراه اليوم في العالم كله من الإساءة إلى الإسلام، وتشويه صوره، أو قتل أهله وتشريده...دون دراسة أو برهان، كل هذه لصد الدعوة الإسلامية وإلقاء الهزيمة النفسية بين الأمة. وفي مثل هذه الظروف القاسية لا بد من إعداد الدعاة نفسيا بجانب إعدادهم المادي قبل أن يسيروا في خط الدعوة، وهذه الدراسة تهدف إلى معالجة هذه القضية وإعداد الدعاة نفسيا، وتتحدث عن مفهوم الهزيمة النفسية وأسبابها وأخطارها وسبل التغلب عليها في رؤية شرعية.

الكلمات المفتاحية: الهزيمة النفسية، اليأس، القنوط، الإحباط، العزيمة.

دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
المجلد الخامس عشر،
العددان الخامس عشر والسادس عشر
لعامي ٢٠١٩-٢٠٢٠م
(طبع في سبتمبر ٢٠٢٢م)
ص.٦٥-٩٨
IIUC ©
ISSN 1813-7733

Abstract:
The mental determination is a key ingredient to the success of Islamic call (dawah). It encouragespeople to work and prepare themselves to play their roles and to think with firmness, bravery and consistency no matter how complicated the situation is. So, they will be steadfast and ready to sacrifice everything for the sake of Islam. On the contrary, frustration crashes human energies and capacities from inside. As a result, they do not want to work and struggle for Islam. They surrender to the enemies of Islam without any resistance. On the other hand, the enemies of Islam are serious and tryin different ways to infuse frustration and inferiority complex among the Muslims.They spread false accusationsagainst Islam and torture its followers to stop their activities of promoting or calling to Islam. In this adverse situation, the preachers of Islam must be prepared spiritually as well as materially. The article aims to address the aforementioned issue and discuss the concept of inferiority complex among Muslims with its causes,dangers and solutions etc. in the light of Islam.
Key Words: frustration, determination, inferiority complex

المقدمة

يستمد الإنسان طاقته وحيويته من نفسه التي تسكن في داخله، فهي جوهر الإنسان وحقيقته، وهي القوة الكامنة المحركة إلى العمل، تبعث النشاط والطاقات في الروح والبدن، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، فإذا صلحت النفس صلح الجسم وإذا فسدت فسد الجسم، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ"[١]. ومن ثم إذا كانت النفس ذات عزيمة سليمة يكون الإنسان قوي الإرادة والهمة لا يتزعزع ولا يتردد في تواصل خطواته نحو المستقبل، أما إذا أصابها اليأس والانهزام، فإنه يحطم الإنسان من داخله، ويقتل الآمال والأحلام، ويحول الإنسان إلى جثة هامدة لا يتحرك ولا يتكلم، فهو حي ميت ومستيقظ نائم. ولذلك تعد الهزيمة النفسية مرضا خطيرا، ما أصابَت أمَّة إلا ساقتها إلى الفناء وقضت عليْها، حتى وإن كانت تمتلك كافَّة المؤهَّلات الحقيقية، والكوادِر البشريَّة، ولقد استهدف

أعداء الإسلام إحداثها لدى المسلمين وعملوا بأساليب شتى لترويجها بينهم حتى يجعلوا الأمّة لقمة سائغة يمكن ابتلاعها بكل سهولة، وفلسفتهم: "إذا أرهبك سلاح عدوك فأفسد فكره ينتحر به ومن ثم تستعبده"[٢]. فالهزيمة النفسية ليست سلاح العدو في الحرب فحسب، وإنما هي سلاح أيضا ضد الدعوة الإسلامية ونشرها، وخطورتها في مجال الدعوة أشد وأعظم من استخدامها في ساحة الحرب، وقد احتوت هذه المقالة على أثر الهزيمة النفسية وخطرها على الدعوة الإسلامية، وذلك لأهمية هذا الموضوع لدى المفكرين الإسلاميين عامة والدعاة خاصة.

مفهوم الهزيمة النفسية

الهزيمة لغة الكسر والهون، يقال: "هزَم خَصمَه" أي كسَر شوكتَه وانتصر عليه، ويقال: "لقاؤك يهزِم الأحزان" أي يهوِّنها، قال الإمام الراغب الإصفهاني: "أصل الهزم غمز الشيء اليابس حتى ينحطم كهزم الشن، وهزم القثاء والبطيخ، وقد ورد الفعل هزم باشتقاقات مختلفة ثلاث مرات في القرآن الكريم[٣]، وكلها تدور حول معنى واحد وهو الانكسار وإلحاق الهزيمة بالكفار، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوت﴾ [البقرة: ٢٥١]، أي غلبوهم بتمكين الله، وقال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، أي سيفترق جمعهم ويغلبون، وقال تعالى: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَاب﴾ [ص: ١١]، أي جند الكفار مهزوم مكسور عما قريب.

أما مفهومها الاصطلاحي فتعني انكسار إرادة النفس واستذلالها وانهيار الشخصية أمام الأعداء والاستسلام لهم دون تفكير في التخلص منها أو مواجهتها، وقد صور القرآن الكريم الهزيمة النفسية بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فجيش بني اسرائيل انهزم بمجرد مشاهدة العدو، وقبل أي منازلة معه.

يقول الدكتور محمد السعيد في تعريفه: "هي حالة نفسية عامة ذات مضامين معرفية ووجدانية وسلوكية تسيطر على المبتلى بها، تتجسد في الشعور بالعجز وقلة الحيلة تجاه الأحداث ووقائع الحياة المختلفة في الحاضر والمستقبل، وتقترن بالكآبة واليأس والخزي، والافتقاد للفاعلية والحيوية الذاتية، وتتمثل في سلوكيات دالة على الاستسلام والركون، وتقبل الواقع الشخصي دونما بذل أي مجهود لتغييره مع تبعية تامة للآخر على مستوى التفكير والانفعال والفعل مع الميل إلى استصغار الذات وإهانتها وتحقيرها"[٤].

وعرفها صاحب المقالة "الانهزام النفسي.. أسبابه وأثره على الأمة والدعوة": "هو استصغار النفس واستذلالها وانكسارها أمام أعدائها"[٥].

فالهزيمة النفسية هي بالاختصار الشعور بالهوان والضعف، والعجز عن مجاراة الأعداء، وتملك اليأس، وفقدان الأمل من النفس، الذي يشل طاقات الفرد وإمكانياته، ويهيئه للاستسلام والتبعية.

مظاهر الهزيمة النفسية

ومن خلال ما سبق من تعريف الهزيمة النفسية يتضح أهم مظاهرها في النقاط التالية[٦]:

أ- الشعور بالعجز، والخجل من القيام بالواجبات الدينية من الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واليأس من إمكانية التغيير الإصلاحي.

ب- الإعجاب بما عند الخصم من تراث وحضارة، واعتباره أنموذجا للتقدم والازدهار، وإعطاء العقل والأحاسيس والشعور لهم، يتحكمون فيه كما يشاءون.

ج- الخوف من الأعداء والانقياد لهم، وترك محاولة التخلص من التبعية والانقياد، وترك الجهاد بدعوى تفشي الشر وانتشار المنكر.

د- رفض مسئولية القيادة والرضا بالذل وبالوضع المتدني، وعدم الطموح في الانتقال إلى ما هو أفضل.

هـ- ضعف الإرادة والهمة والتشاؤم بالحياة والإخلاد إلى الدعة والسكون في ذلة وخور.

ألفاظ ذات صلة بالهزيمة النفسية

تسمى الهزيمة النفسية بالهزيمة المعنوية أو الخلخلة النفسية أو الإحباط النفسي، وقد عبرت النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية عما يتعلق بالهزيمة النفسية من النتائج والثمرات بألفاظ مختلفة وبأساليب شتى، وفيما يلي نذكر بعضا منها:

أ- الهوان: وهو مصدر الهيّن، والهون: الشيء الحقير، والهيّن الذي لا كرامة له، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، أي ومن يذل الله، وقال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، أي وتحسبونه صغيرا[٧]. قال ابن منظور: "الهون: الخزي، والهون والهوان نقيض العز، وأهانه واستهان به، وتهاون به: استخف به"[٨].

ويلاحظ من هذه المعاني أن العلاقة بين الهزيمة والهوان وثيقة جدا، فالهزيمة خزي للأمة وفقدان لمعاني العزة، كما أن الهزيمة سبب لاستخفاف العدو بالمهزوم، وهو بحد ذاته تحقير للأمة المهزومة، وتصغير لقدرها وانتزاع لقدرها.

ب- اليأس: الأصل في اليأس: انقطاع الأمل من شيء، وهو القنوط نقيض الرجاء، يقال: قنط منه أي انقطع أمله منه وانتفى طمعه فيه[٩]، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وانما يعبر عن اليأس بالقنوط، لأن القنوط ثمرة اليأس[١٠].

ويتضح من ذلك أن اليأس والهزيمة النفسية متقاربتان في المعنى، فإنهما تشملان معنى انقطاع الأمل من فوائد العمل وإمكانية التغيير الإصلاحي، والقطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته.

ج- القنوط: هو بضم القاف مصدر، والأصل فيها اليأس من الخير، وقد ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، أي ييأسون من الرحمة والفرج[١١]. قال ابن فارس: " القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء"[١٢].

فالقنوط ترادف اليأس، ولها علاقة وثيقة بالهزيمة النفسية، إذ إن الهزيمة النفسية تؤدي إلى اليأس من إمكانية التغيير الاصلاحي، وترك العمل الواجب.

د- الذل: لغة الضعف والخسة والمهانة، قال الإمام راغب الإصفهاني: "الذُل ما كان عن قهر، والذِل بكسر الذال ما كان بعد تصعب من غير قهر"[١٣]، قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، أي المهانة والخسة، والذل إذا كان من الإنسان بنفسه من غير قهر فهو محمود، كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

فعلاقة الذل بالهزيمة وثيقة، إذ إن الذل أثر من آثار الهزيمة، والهزيمة ذل واضح لما فيها من فقدان معنى العزة والكرامة، وهي صورة من صور الخسة بغلبة العدو وقهره.

هـ- الخزي: هو في اللغة الإهانة والسوء والانكسار، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بمعنى الذل والهوان[١٤] كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]. قال الإمام راغب الإصفهاني: "وخزي الرجل، أي لحقه انكسار إما من نفسه وإما من غيره، فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط، والذي يلحقه من غيره هو ضرب من الاستخفاف"[١٥].

فكلمة الخزي ذات علاقة ظاهرة بمعنى الهزيمة، لأن الأمة المهزومة تشعر بالعار والانكسار، وبالذل والفضيحة.

و-الوهن: هو أشد حالات الضعف عند الإنسان، يقال: وهَنه الكِبَرُ: أي أضعفه، وأوهن من بيت العنكبوت: أي ضعيف جدًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قال الراغب الإصفهاني: "الوهن ضعف من حيث الخَلق، أو الخُلق"[١٦].

ويلاحظ من هذا أن العلاقة بين الهزيمة والوهن وثيقة جدا، فالهزيمة تعني عن ضعف الأمة وانكسارهم أمام العدو، كما أن الوهن هو بحد ذاته ضعف للأمة المهزومة، واستيلاء الخوف عليها، وانكسار قدراتها.

ذم الهزيمة النفسية في القرآن والسنة

الهزيمة النفسية تنافي الغاية المنشودة التي خلق الإنسان من أجلها، وتمنعه من الوصول إليها، وقد ورد ذكرها في القرآن والسنة بألفاظ مختلفة التي أشرنا إلى بعضها من قبل، وتظافرت النصوص في النهي عنها وفي ذمها بأساليب مختلفة:

أولا: الهزيمة النفسية كفر وضلال: قد تشتد الهزيمة النفسية وتصل إلى مرحلة اليأس من رحمة الله، وقد عد الله تعالى هذه المرحلة كفرا وضلالا، حيث قال: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: "إن رجلا قال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله"[١٧]، فهذه النصوص تدل بالصراحة على ذم اليأس والقنوط من رحمة الله، وتدل باقتضائها على ذم الهزيمة النفسية، لأن اليأس والقنوط ينشآن من الهزيمة النفسية.

ثانيا: إنها سبب غضب الله وعذابه: الهزيمة النفسية بالمعنى السابق تسبب غضب الله وعذابه، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]، فالآية تدل على أن اليأس الذي ينشأ من الهزيمة النفسية سبب غضب الله تعالى.

ثالثا: إنها من كبائر الذنوب: فقد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم مع كبائر الذنوب، حيث قال: "ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل نازع الله عز وجل رداءه فإنَّ رداءه الكبرياء وإزاره العزة، ورجل شك في أمر الله، والقنوط من رحمة الله"[١٨].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: " الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله[١٩].

رابعا: تعوذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجبن -الذي هو صورة من صور الهزيمة النفسية- بعد كل صلاة، فعن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد بن أبي وقاص يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"[٢٠].

خامسا: إنها من الأمور المهلكة: عدها النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور المهلكة للفرد والمجتمع على حد سواء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ"، قَالَ أَبُو إِسْحَقَ لَا أَدْرِي أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ"[٢١]، ووجه الاستشهاد من هذا الحديث أن مثل هذه الأقوال تسبب الهزيمة النفسية، فيهلك بنفسه،

قال محمد بن سيرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، أي الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى[٢٢]، وبهذا التفسير تتبين العلاقة بين الهزيمة النفسية وبين فشل الإنسان وهلاكه.

أثر الهزيمة النفسية وخطرها على الدعوة الإسلامية

الهزيمة النفسية هي أخطر من كل سلاح، فهي تقوم وحدها مقام كل سلاح، ويحقق بها الأعداء ما لم يستطيعوا تحقيقه بالقوة والبطش والجبروت، فهي في الحقيقة انتصار على النفوس والقلوب، وبالتالي فهي تقبل أي هزيمة أخرى، وفيما يلي نذكر بعضا من آثارها وخطورتها على الدعوة الإسلامية وأمتها:

١- إنها تمهيد للهزيمة الحضارية والعسكرية: الهزيمة النفسية مقدمة لأي هزيمة حضارية أودعوية أوعسكرية، فإنها تبث روح الخوف والاستسلام على الفرد والأمة[٢٣]، وأمثال هؤلاء لا يقاومون ولا يجاهدون لأجل دعواتهم أولحقوقهم، وبالتالي فهم يستعدون لترك دعواتهم ويقبلون أي هزيمة أخرى، وإذا عرف الأعداء منهم ذلك، يشن عليهم بسلاحهم، ويحتلون أراضيهم وبلادهم، وينتهبون ثرواتهم وخيراتهم، فتنخفض الأنشطة الدعوية وتتضيع الحقوق الإنسانية.

٢- الخوف والحياء من إظهار الهوية المسلمة[٢٤]: من آثار الهزيمة النفسية الخوف من إظهار الهوية المسلمة، فيخشى المسلم عامة والداعي خاصة أن يظهر هويته في لباسه وفي معاملته، ويستحي أن ينهى عما يخالف الشريعة خوفا أن يتهم بالتطرف والإرهاب والجمود والرجعية، ويخشى الأولياء أن يطلق أبناؤهم لحيتهم، أو أن تتنقب بناتهم، أو أن يذهبوا إلى المدارس أو إلى الجامعات الإسلامية نظرا إلى مستقبلهم من عدم الحصول على الوظائف أو فرارا من التهم التي ترمى إليهم.

٣- تدمير المعنويات وتحطيم قوة الدفاع[٢٥]: الهزيمة النفسية تدمر معنويات الأمة، وتحطم القوات دفاعها- التي تقوم بها على الأعمال الدعوية- وتحبط تطلعاتها، وتصيبها بالضعف والهوان، وتلقيها في أحضان عدوها، وتمكّنه من كيانها، فتدين له بالتبعية والولاء التام، وتنقاد له مستسلمة دون أي مقاومة، وتحقق لأعدائها ما أرادوا من السيطرة على أفرادها وشعبها ودعواتها نفسيا وماديا، وثقافيا وسلوكيا، وسياسيا واقتصاديا.

٤- مداهنة المحتلين المسيطرين: المهزوم نفسيا يحتقر نفسه، ويكبر ويطبل شان أعدائه، ويرتمي في أحضانهم، ويشتغل بالثناء عليهم ومداهنتهم، كما نراه في عصرنا، قال الله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، وكما قال عبد الله بن أبي بن سلول عن موالاته لليهود: إني لا أدع موالاتهم إني امرؤ أخشى الدوائر[٢٦]. وقد نهانا الله تعالى عن هذا بقوله: ﴿فَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَو تُدهِنُ فَيُدهِنُونَ﴾ [القلم: ٨-٩].

٥- ترك الأعمال والآمال: النصر والفلاح ثمرة الجِد والعمل، وفي المثل العربي: "من جد وجد"، والمصاب بالهزيمة النفسية لا يعمل ولا يجتهد، ولا يطلع ولا يجدّ بحجة أن لا فائدة فيه، فلا يفلح أبدا، ولذلك حذرنا القرآن والسنة من هذا السلوك والوقوع فيه، قال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وفي الحديث: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِز"[٢٧].

٦- الاستسلام للذل والهوان[٢٨]: إذا أصيبت أمة من الأمم بهزيمة نفسية فإنها تستسلم للذل والهوان مما لا مزيد عليه، فترضى بقتل شعبها وبانتهاك حرماتها وباغتصاب أراضيها، وتنتشر النعرات والنشاطات ضد دعوة الإسلام

والحضارات، وبذلك وصلت الأمة الإسلامية اليوم إلى مرحلة تعيش فيها على هامش العالم، وقد نبه عن ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم – بقوله:"يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها. قالوا: أوَ من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل"[٢٩].

٧–انتهاك المحرمات وامتهان المقدسات: وحين يلاحظ أعداؤنا الهزيمة قد سيطرت على نفوسنا، واحتل الخوف على قلوبنا، وتركنا واجبنا نحو أنفسنا وشعبنا وديننا، يخططون لاستعبادنا وإطفاء دعواتنا، فيستحلون محارمنا، وينتهكون أعراضنا، ويستهزؤون بأمور ديننا وينتقصونها، ولا عجب في ذلك، فإنهم لم يواجهوا أي مقاومة أو مناضلة تمنعهم من الظلم والاضطهاد، وقد قال النابغة قديما:

"تَعْدُو الذِّئابَ عَلَى مَن لا كِلاَبَ له * وتَتّقِي مَرْبِضَ المسْتَنفر الحامِي"[٣٠]

٨– ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: الهزيمة النفسية تسبب ترك الأمر بالمعروف والدفاع عنه، والنهي عن المنكر واجتنابه، إذ لا فائدة من هذه في زعم المنهزمين، ويرضى المنهزم بما أصابه من الذل والهوان، وكأنه واقع لا يتغير، وربما يستدل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقد بين أبو بكر– رضي الله عنه– المراد من هذه الآية، فقال: "أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم جميعاً بعقاب من عنده"[٣١].

٩– تفريق الأمة وتمزيقهم[٣٢]: المنهزم نفسيا لا هم له إلا بطنه وشهوته، وليس له فكر ولا دور لشعبه ولا لدينه، ويعمل ضد شعبه ودينه كعميل للأعداء ليرضيهم، وهذا يستغنمه أعداء الإسلام والمسلمين، فيشترونه بالمال والمنصب،

ويمزقون به بين صفوف المسلمين، فتفترق كلمتهم وتنكسر شوكتهم، ويفتح الباب للهجوم عليهم من قبل أعدائهم.

١٠- التبعية والانقياد للآخرين: إذا أصيبت أمة بالهزيمة النفسية لا يقتدي بهم أحد ولا يهتم بهم، بل هم بأنفسهم يقتدون للآخرين، فالناس لا يقتدي إلا بأهل القوة والعزيمة، ومن ثم نرى شبابنا يتفاخرون بتقليد الغرب في عاداتهم ومعاشهم، وقد انتبه ابن خلدون إلى هذا، فقال: "إن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ولذلك ترى المغلوب يشتبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه بل وفي سائر أحواله"[٣٣].

ومن أثرها أيضا ضعف الخطاب الديني والبعد عن مناقشة القضايا المطروحة، مما يؤدي إلى عدم التأثير في حياة الناس، والامتناع من قول كلمة الحق خوفا على العمل والرزق وخاصة إذا كان الإنسان مرتبطا بمؤسسة أو بوظيفة حكومية. فلا شك أن الهزيمة النفسية لها خطر عظيم على الدعوة الإسلامية، فعلى المسلمين عامة والدعاة خاصة أن يكافحوها بطريقة مخططة ومحكمة للتغلب على عوائق الدعوة.

أساليب الأعداء في زرع الهزيمة النفسية

لقد أدرك أعداء الإسلام من خلال الحروب الصليبية أنّ الصراع العسكري مع الإسلام لا يجدي نفعا، بل لا بد قبل كل شيء تحطيم القوات المعنوية لدى المسلمين التي تحصل من دينهم، وذلك عن طريق إلقاء الهزيمة النفسية في قلوبهم، واتخذوا لترويجها بين المسلمين أساليب عديدة بكل ما لديهم من الوسع والطاقات والتقنيات، ومن أهمها:

١- تجهيل المسلمين بدينهم وبتاريخهم[٣٤]: يقوم أعداء الإسلام بخطط وبرامج لتشغيل المسلمين في أمور تافهة لا تسمن ولا تغني من شيء، ومنها نشر المسلسلات الخليعة والترفيهات الساقطة باسم الفن والتطور، وترويج الفواحش والاختلاط باسم الحرية والتقدم، وإحياء الأفكار الهدامة والمذاهب الفلسفية باسم البحث والعلم، كيلا يجدوا فرصة ليدرسوا في دينهم وتاريخهم أو ليتفكروا عن أنفسهم وشعبهم، فلا يعرفون عن دينهم ودورهم الفعال وعن تاريخهم ومجدهم المتلألئ في الماضي، فيشعرون بأنهم الضعفاء المنهزمون لا عزة ولا ازدهار لهم إلا بقبول ما يقدم لهم من الخيارات والبدائل من أعدائهم، ولقد أشار الله تعالى إلى طريقتهم هذه بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، ووجه الاستشهاد منها أنهم يحدثون الضوضاء والعوائق، ويشغلونهم بأمور أخرى حتى لا يسمعوا القرآن ولايفهموه.

٢- إعداد الجيل المثقفة والنخب الفكرية[٣٥]: يختار أعداء الإسلام رجالا ونساء من الشعب المسلم المغلوبين، يربونهم ويدربونهم، فينالون الشهادات العالية على مناهجهم، ويحلونهم في مناصب القيادة والريادة، يتأثر بهم عامة الشعب وخواصهم، فهؤلاء الجيل المثقفة والنخب الفكرية ينشرون بين المسلمين أفكار أعدائهم، ويقودونهم نحو الانهزامية والاستسلام لأعدائهم وترك النضال معهم، وبالعكس يبعدون علماء الدين والمتدينين عن المناصب المهمة والمراكز المؤثرة، ويوهنون جهودهم الثقافية والإبداعية، حتى لا يسمع لهم صيت ولا يلاحظ لهم دور، فلا يقتدي بهم أحد ولا يتأثر بهم.

٣- إثارة الخلاف بين المسلمين[٣٦]: يثير أعداء الإسلام الخلافات الدينية والسياسية والإقليمية بين المسلمين لشن الهجوم عليهم من داخلهم وتشغيلهم بأنفسهم دون أعدائهم، فيترك بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا، ويحاربون

فيما بينهم بالرد والنقاش وحتى بالقتال، ولأجل هذا يختلقون الفرق الضالة الدينية لمقابلة الدعوات الإسلامية والحركات الإصلاحية، ويؤيدونهم بأفكارهم وأموالهم، ويروجون آراءهم ويكبرون أمورهم لصرف أنظار العوام إلى هؤلاء، فيحدث الانهزامية واليأس لدى من يعمل لإظهار الدين وإعلائه.

٤- تشويه صورة الإسلام[٣٧]: يقوم أعداء الإسلام بتشويه صورة الإسلام وسمعته، فيرمونه بالأكاذيب والأباطيل، مثل أنه يعتمد على الوحشية والهجومية في تنفيذ أحكامه، ويظلم على المرأة، وأن المسلمين هم الإرهابيون المتخلفون وغير ذلك، وكل هذه افتراءً وبهتانا على الإسلام، ويقدمون دراسات مشوهة عن الحياة الإسلامية العملية، وقادة هذا الميدان هم المستشرقون ودراساتهم الاستشراقية، فيشعر المسلمون بالذلة والانهزامية بالانتماء إلى دينهم بدل الاعتزاز والثقة به، ولا يرغب أحد في الإسلام ولا يسانده خوفا مما يرمى به.

٥- إبراز القيم والحضارات المعارضة للإسلام في أحلى صور[٣٨]: يبرز أعداء الإسلام قيمهم وحضاراتهم في المجالات المختلفة في أبهى وأحلى صور، كأنه لا يساويه ولا يقترب منها أحد، وأنها تتسم بالكمالية من العدل والحرية والإنسانية، ويظهرون أنفسهم بأنهم القوى العظمى التي لا تقهر، ويصورون للآخرين أن سبيل النجاة هو الاقتداء بهم والاستسلام إليهم، فعلى الجميع أن يخضع لهم، فيصاب من يراها بالدهشة والهزيمة النفسية ويستسلم لهم.

٦- السيطرة على وسائل الإعلام[٣٩]: إن وسائل الإعلام تقوم بإحداث التغييرات الفكرية والذهنية، وتكمل عملية شرعية الأخذ والبطش والسيطرة على الشعوب، ومع ظهور التقنيات الحديثة في وسائل الإعلام تحوّلت إلى قوة لا يضاهيها شيء في حياة الإنسان، وتسخر الدول الكبرى والقوى العظمى أموالاً هائلة في تطوير وسائل الإعلام والسيطرة عليها، لتقوم بدورها في نشر ثقافتها

وأفكارها في مصالحها، وتشن بالحروب النفسية ضد من يقاومها، فينتج عن ذلك التيه الفكري والانهزام النفسي لدى من ينشر ضدهم.

٧- السخرية والاستهزاء بشعائر الدين: يسخرون بعلماء الدين والمتدينين وبعاداتهم وملابسهم، ويرمونهم بالجهل والتخلف، ويستهزئون بكل ما يعتبر من شعائر الدين من اللحية والحجاب وغيرهما، فيشعر من يمارسونها بالخذل والانهزامية، ولقد بين الله تعالى شيمتهم هذه في كلامه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٢].

٨- الظلم والاضطهاد[٤٠]: يقوم أعداء الإسلام بأبشع أنواع الظلم والاضطهاد على من يعارضهم أو يقاومهم بأدنى احتمال أو شك، فيقبضون عليهم بالحديد والنار، ويتعرضون لأعراضهم وشرفهم، ويحرمونهم من حقوقهم المدنية والإنسانية، ويعذبونهم بأشد أنواع التعذيب، يشردونهم من أوطانهم، ويسجنونهم ويقتلونهم دون أي برهان وقضاء، وكل هذه لزرع الخوف واليأس والانهزامية لدى من يعارضهم أو يقاومهم.

فعلى دعاة الإسلام أن ينتبهوا ويتحذروا، ويدافعوا ويحاربوا الأعداء بكل وسيلة حتى الإمكان، ولا يخافوا من أساليب الأعداء في زرع الهزيمة النفسية، كي لا تتأثر الدعوة الإسلامية تأثرا سلبيا.

أسباب الهزيمة النفسية

التأثر بالهزيمة النفسية والابتلاء بها لها أسباب متعددة، يتعمدها أعداء الإسلام للسيطرة على أبناء الأمة الإسلامية بالدعم والتأييد، لما أن لها الدور الفاعل في انتشارها بينهم، وفيما يلي أهم أسبابها[٤١]:

أولا: ضُعف الإيمان ونقصانه: الإيمان بالله تعالى أساس القوة وعلو الهمة، لأنه يحفز الإنسان إلى البناء والعطاء وعمل الصالحات واستباق الخيرات، فالإنسان المؤمن يواجه المحن والتحديات بقوة إيمانه وثقته بالله عز وجل، وهو كالطود الأشم تضطرب الدنيا من حوله، ولكنه ثابت لايتزحزح[٤٢]، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وأما إذا ضعف الإيمان بالله تعالى ضعفت ثقته به والاتكال إليه، ويقع الإنسان حينئذ في التردد والحيرة، ويشعر بالعجز والهزيمة، ويشتغل بالوهن والأوهام، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

ثانيا: حب الدنيا وكراهية الموت: حب الدنيا رأس كل خطيئة، فهو يؤدي بالمرء إلى الحرص بالبقاء الأبدي على هذه الدنيا والحصول على ثرواتها. وينسيه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهذا الحرص يحدث فيه الهزيمة النفسية، فيتنازل عن غِيرته وعزته، مع التذلل والخضوع لمن عندهم السلطة أو المال كي يحصل على بعض مما في أيديهم، يقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل ومن قلَّة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتمْ يومئذ كثير، ولكنّكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الْوهن، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَراهية الموت"[٤٣].

ثالثا: عدم الثقة بالله ومنهجه: إن الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه يؤدي الإنسان إلى الاعتزاز بالنفس والاستعلاء على العدو، فإنه يعرف ويعتقد أنه لا شرف ولا عزة ولا سلطة ولا رزق إلا من عند الله، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ

اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، قال الشوكاني في تفسيره: "من علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له، ومن خذله لا ناصر له، فوض أموره إليه وتوكل عليه ولم يشتغل بغيره"[٤٤]. فمن تردد في وعد الله، أو ظن بالله أنه لا ينصره، لا بد أن ينهزم وينهار أمام الأعداء.

رابعا: ترك الجهاد والمقاومة: إن الجهاد والمقاومة يربي الإنسان على الشجاعة والمثابرة، ولذلك عده النبي- صلى الله عليه وسلم- ذروة سنام الإسلام، وإذا ما تركته أمة وقعت في الجبن والهزيمة، وبالتالي في الظلم والاضطهاد، قال الله تعالى: ﴿إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ١٧٣]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقرة ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"[٤٥].

خامسا: ارتكاب الذنوب والمعاصي: تعد الذنوب والمعاصي رأس الفتنة وأهم عوامل الهزيمة النفسية، إذ إن المعصية تضعف قوة مقاومة المؤمن للشيطان، فيتولى عن مواجهة الأعداء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وإذا ترك الإنسان مواجهة الأعداء ومقاومتهم عذبهم الله تعالى بإهلاكهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

سادسا: التنازع والافتراق: إذا تنازعت أمة من الأمم فيما بينهم، انهارت وحدتهم، واشتدت الخلافات بينهم، وضعف شأنهم، وانكسرت شوكتهم،

وبالتالي تنهزم أمام أعدائهم، ولذلك نهانا الله تعالى عن التنازع والافتراق وأمر بالوحدة والتماسك، فقال: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

سابعا: تحقير النفس وتصغيرها: تحقير الإنسان نفسه وتصغيره إياها أو رميها بالفشل يحدث الشعور بالعجز والهزيمة فيها، ويؤثر في ثقته بنفسه والاعتماد عليها ، ولذلك نهى الله تعالى عنها، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره"[٤٦].

ثامنا: الجهل بطبيعة الطريق إلى الله تعالى: إن الطريق إلى الله تعالى ذو تكاليف لا بد من الصبر عليها، وفيها الابتلاءات والمحن والفتن ليميز الخبيث من الطيب، فالذين يجهلون هذه الطبيعة ينحرفون عن الطريق وينهزمون إذا رأوا الفتن والابتلاءات، يقول تعالى عن هؤلاء: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]. والله تعالى يميز بهذه الفتن والابتلاءات بين الصادقين والكاذبين في دعواهم، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

تاسعا: العيش وسط المنهزمين: إن أهم ما يؤثر على الإنسان في مسيرة حياته هو ذلك الوسط الذي يعيش فيه، والذي يسمى بالبيئة، فإذا كان مجالسوا المرء مهزومين فسينهزم معهم، ولذلك نرى أكثر المثقفين المستغربين منهزمين ثقافيا

وفكريا، وقد نبه الله تعالى عن هذا، وأمر بالصحبة الصالحة والبيئة المؤمنة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ"[٤٧].

عاشرا: الواقع الأليم: قد ينظر المسلم إلى قلة المستمسكين بالدين وكثرة المجانبين له، وقد يعمل ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً لإصلاحهم، ولكن لا يجد لجهده ثمرة، فيتأمل في الواقع الأليم الذي يحيطه من المعاصي والانحرافات، فتتولد داخله حالة يائسة من صلاح البشرية ويصاب بالهزيمة النفسية، ويقعد عن العمل[٤٨].

علاج الهزيمة النفسية

قد أصيب كثير من أبناء الأمة المسلمة بمرض الهزيمة النفسية، وأئسوا من عودة الإسلام وإعلائه، وتركوا الدعوة والقيام بالعمل الإصلاحي، ولا سبيل للنهوض بالأمة إلا بعلاج هذا المرض الخفي بغرس الأمل في النفس ورفع معنوياتها بالتربية الذاتية والإيمانية والاجتماعية:

أولا: غرس الأمل ورفع المعنويات

الحيويات المعنوية أقوى الدوافع النفسية التي تملأ صاحبها حمية وشجاعة وتقضي على العجز والانهزامية، وهي سلاح خفي غير ظاهر لا يتمكن الأعداء من رصده أو تدميره، وأمل الإنسان يدفع هذه الحيويات المعنوية للحركة والإنتاج، والصبر والكفاح من أجل الواجب، ولذلك حرص الإسلام على غرس الأمل في نفوس الإنسان ورفع معنوياته، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فالآية

غرست الأمل والرجاء بالغلبة في قلوب المسلمين، وبذلك قضوا على الانهزامية، وتمكنوا على مقاومة أعدائهم، وقد وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية أساليب عديدة في رفع معنويات الإنسان، ومنها:

أ- التبشير بغلبة الإسلام وفتوحاته: بشر الله عز وجل في القرآن الكريم بغلبة الإسلام وبإظهاره على الدين كله، وأنه أرسل رسوله لأجل هذا، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [الفتح: ٢٨]، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزاً أو يذل ذليلاً، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر"[٤٩]، ومثل هذه التبشيرات ترفع معنويات الإنسان، وتمكنه من معالجة خوفه وانهزامه.

ب- التذكير بوعد الله أنه يستخلف المسلمين: وعد الله المسلمين باستخلافهم في الأرض وتمكين دينهم، فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، فالمؤمن إذا اعتقد بأنّ الله تعالى سيستخلف في الأرض عباده المؤمنين، ويمكن لهم دينهم يشعر بالعزة، ولا ينهار أمام أعدائهم ودينهم.

ج- التذكير بوعد الله أنه يخزي الكافرين: وعد الله أنه سيخزي الكافرين في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

د- الإخبار بأن الله أوجب على نفسه نصر المؤمنين: وعد الله رسله والذين آمنوا بهم بنصره في الدنيا وفي الآخرة، وأوجب على نفسه نصر المؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فمثل هذه الآيات تجعل المؤمنين أن لا ينهزموا أبداً أمام المحن والفتن والابتلاءات، لأنّهم يؤمنون بنصر الله في الدنيا والآخرة.

هـ- إبراز الجوانب الإيجابية في المصيبة: بين الله تعالى أن المصيبة ليست كلها بشر، بل هي تنطوي على جوانب إيجابية، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران: ١٦٦]، فتمييز المؤمنين من المنافقين ثمرة إيجابية، ولولا المصيبة لبقي المنافق جرثومة مستترة في المجتمع الإسلامي، وقال تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فمثل هذه الوعود والبشريات تجعل المسلمين على ثقة بأن المصيبة مهما اشتدت لا تدوم، وأن العدو مهما تمكن سينحط، فلا يخافونه ولا ينهزموا أمامه، ولا يتجنبون من أداء الواجبات تجاه الدعوة إلى هذا الدين.

ثانيا- التربية الإيمانية

إن الإيمان يزرع في النفس السكينة والطمأنينة، ويدفع عنها اليأس والأسى، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح: ٤]، والمؤمن الحق يعتقد أن كل شيء في يد الله تعالى، ويحسن ظنه به، ويرجو الخير منه، فلا بد من التربية الإيمانية قبل كل شيء لمعالجة الهزيمة النفسية، وذلك عن طريق غرس ما يلي:

أ- التوكل على الله: فقد أرشد الله المؤمنين إلى التوكل عليه، لأن له أثرا عظيما في رفع المعنويات، وفي معالجة الوهن والأوهام، وبهذا يتمكن الإنسان مواجهة الأعداء والأخطار، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وهذا كان طريقة الأنبياء والمرسلين في مواجهة أعدائهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

ب- الإيمان بالقضاء والقدر: المصيبة أمر مقدّر، وإذا اعتقد الإنسان أن كل ما حصل له هو بقضاء الله وقدره يستريح قلبه، ويشتد عزمه، ولا ينهزم أمام عدوه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[٥٠]، والمقصود من عمل الشيطان الإحباط الذي يصيب النفس لفرصة فائتة أو لخطب نازل.

ج- حسن الظن بالله ورجاء رحمته: حسن الظن بالله راحة للقلب، وطمأنينة للنفس، وعلاج للانهزامية، وسلامة من أذى الخواطر- التي تهدم الروح، وتطرد السعادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[٥١]، وفي رواية الإمام أحمد: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَه."[٥٢]، فمن ظن أن الله ينصره ويعزه فإن الله يكون عند ظن عبده به ولا يخيب رجاءه فيه، وأما سوء الظن بالله تعالى فيؤدي إلى الخوف والإحباط النفسي ويتسبب عذاب الله، قال

تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ [الفتح: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

د- الترغيب بالزهد في الدنيا: إن تعلق القلب بالدنيا والتكاثر فيها يتسبب الحزن والتأسف على فواتها، فيؤدي إلى انهزام النفس وإزهاقها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]، وأما الزهد فيها فتحصل به الراحة واطمئنان القلب، وتعلو به الهمة، وتشتد العزيمة، وتندفع به الهزيمة النفسية، فرغب الله إليه قائلا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٧٧]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"[٥٣].

هـ- لفت الأنظار إلى الاعتبار من الأحداث الماضية: إن معرفة أخبار السابقين المشابهة تثبت القلوب وتزيل اليأس وتسلي النفوس، وإن الإنسان عندما يستوعب الأحداث التاريخة يستطيع أن يبني موقفه فيما يواجهه على أساس تجربة ناجحة، ولذلك يوجه المؤمنين إلى التأمّل في أحداث الماضي وتجارب الأمم السابقة، فقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

التربية الإيمانية أساس القوة وعلو الهمة، لأنه ربط الإنسان بخالقه العزيز الجبار، فالإنسان المومن ثابت كالجبل الشامخ لا يتزعزع، ولا يبالي بأحد، ولا يخاف لومة لائم، ولا ينهزم أبدا، فلا شك أن التربية الإيمانية لها دور هام في مكافحة الهزيمة النفسية، وبالتالي لها آثار إيجابية في نشر الدعوة الإسلامية، فللقضاء على الهزيمة النفسية لا بد من تربية المسلم على الإيمان بالله تعالى والثقة به.

ثالثا– التربية الذاتية

تعد التربية الذاتية اللبنة الأولى لإعداد النفس وتهيئتها لحمل مسئولياتها، فإنها تطور شخصية الإنسان وتنمي الثقة بنفسه والاعتزاز به، وتزرع فيه العزيمة وعلو الهمة، وتحميه من الآفات النفسية وأمراضها، وتمكنه من إصلاحها، فلا بد الاهتمام بالتربية الذاتية لعلاج الهزيمة النفسية، وذلك بمراعاة ما يأتي:

أ– التفاؤل بالحياة: التفاؤل هو الرؤية الإيجابية للحياة، وهو يحفز الإنسان على العمل والعطاء، ويزرع الأمل ويعمق الثقة بالنفس، ويمنح الإنسان قدرة على مواجهة المواقف الصعبة، وقد حث الإسلام إلى التفاؤل والنظرة الإيجابية إلى الحياة، وكان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يحب الفأل الحسن، ويكره الطِّيَرَةَ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَتَفَاءَلُ وَلاَ يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الِاسْمُ الْحَسَن"[٥٤].

ب– احترام الذات والثقة بالنفس: إن احترام الشخص لذاته والثقة بنفسه يلعب دورا كبيرا في تحقيق النجاح في الحياة، فإنه يولد الطاقات ويساهم في تجاوز العقبات، ويجعل الإنسان يشعر بالاستقرار والطمأنينة، ولذلك قال عمر: "لا تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته"[٥٥]، وروي عنه أنه رأى رجلا مطأطئاً رأسه فقال: "ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض"[٥٦]، وسُئل علي أبن أبي طالب: أنك إذا هجمت على عدوك نجدك تكبر تكبيرة تنخلع

منها القلوب، فما سر ذلك؟ قال إنني أفعل ذلك لأنني أقدم على عدوي وأنا مقتنع بأنني سأقتله أي عندي من الثقة بنفسي أنني سأقتله[٥٧].

ج- سد الفراغ والاشتغال بالعمل: الفراغ العملي والفكري يستغنمه الشيطان، ويخيل للإنسان مستقبلا مليئا بالمخاطر، ولذلك حذر الله تعالى عنه، وقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"[٥٨]، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه: "إني لأبغض الرجل أن أراه فارغًا، ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا عمل الآخرة"[٥٩]. فعلى المسلم أن يشغل نفسه وفكره ووقته بالعمل والعطاء، فهو يحاسب يوم القيامة على أعماله، ولا يسأل عن النتائج المترتبة عليها، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، والمؤمن الحق لا يعمل لمجرد النجاح والانتصار، وإنما يعمل لأمر الله تعالى، وابتغاء لمرضاته، فإن تحقق له النجاح فهو خير وبركة.

د- الصبر والثبات والمثابرة: الابتلاء والمصيبة تضعف القوى النفسية والجسدية، والصبر والمثابرة تهون المشاق وتسهل الصعاب، فهما من الوسائل الهامة للتغلب على الهزيمة النفسية، ولقد بين الله تعالى في القرآن الكريم أن الأنبياء السابقين واجهوا الهزيمة النفسية بالصبر والمثابرة، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وعلق سبحانه وتعالى نصره وتائيده بالصبر، فقال: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، فعلى حملة الدعوة أن يعتصموا بالصبر ويحذروا من الاستعجال.

رابعا: التربية الاجتماعية

التربية الاجتماعية أقوى تأثيرا في تكوين شخصية الأفراد وتوجيه سلوكهم، فإن المجتمع هو البيئة الكبرى التي يقضي فيها الأفراد حياتَهم مع أشخاص آخرين، يتفاعلون معهم، ويتأثرون بهم، ويكتسب منهم المعايير والاتجاهات، وتنشأ لديه العواطف والاهتمامات، فلا بد من التربية الاجتماعية لمواجهة الهزيمة النفسية، وذلك بما يأتي:

أ- العيش مع الجماعة: إذا ابتعد الإنسان عن الجماعة وآثر حياة العزلة والتفرد يستغله شياطين الإنس والجن، ويدب إليه اليأس والفتور، والعيش مع الجماعة يصور للمسلم أنه ليس منفردا في هذه الحياة، بل معه الآخرون يسيرون في نفس الطريق، فيشعر في نفسه الطمأنية ويشغل سائر طاقاته في مواجهة الأعداء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَد"[٦٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ" [٦١].

ب- العلاقات الاجتماعية وزيارة الأقرباء: إن المنعزلين اجتماعيا هم أكثر عرضة للهزيمة النفسية، وقد أثبتت الدراسة الاجتماعية أن علاقة الإنسان بأسرته وأقربائه والهيئات الاجتماعية والدينية تقيه من القلق والاضطربات النفسية، ولذلك أمر الله بها في كتابه، فقال في صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]، وقال في حق من يقطع الرحم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

ج- القيادة الراشدة الشجاعة: القيادة من ضروريات الحياة الاجتماعية، فلا تستطيع جماعة أن تعيش بطمأنينة وانتظام بدون قيادة، و لذلك أكد النبي -صلى الله عليه وسلم- بلزوم القيادة في الحضر والسفر، فقال: "إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُم"[٦٢]، و قال عليه الصلاة والسلام: "وَلَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَكُونُونَ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ إِلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُم"[٦٣]، فإذا كانت القيادة راشدة متميزة بالشجاعة وعلو الهمة، تحيي النفوس وترفع معنويات الأمة، وتوجه الطاقات إلى ما يحقق للأمة العزة والكرامة، وتقتدي بها الأمة وتتجمع حولها، وتفتدي لها بالأرواح.

د- الإعداد العلمي: المجتمع الذي تتفشى فيه الأمية ويسوده الجهل، يسيطر عليه الذل والهوان والهزيمة النفسية، فلا بد لمعالجتها القيام بالإعداد العلمي، فالعلم هو الأساس الذي يبنى عليه كل إصلاح، وقد خص الإمام البخاري بابا في صحيحه بعنوان: "باب: العلم قبل القول والعمل"[٦٤]، فكل عمل بدون علم عمل قاصر، وكل دعوة بدون معرفة دعوة ناقصة، وللنهوض بالأمة الإسلامية والقيام بها نحتاج إلى العلوم الشرعية، كما نحتاج إلى العلوم المادية من الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والذرّة وغيرها، وقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا"[٦٥].

هـ- إعداد القوة المادية: إن القوة المادية هي أهم العوامل التي تتصدى فكرة الهزيمة، ولذلك أمر الله بإعدادها، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فالآية تبين أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم، يحقق النصر عليهم، وقد حث النبي- صلى الله عليه وسلم- على إعداد السلاح والتدريب عليها، فقال: "إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ صَانِعَهُ

يَحْتَسِبُ فِي صُنْعِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنَبِّلَهُ وَارْمُوا وَارْكَبُوا وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا وَلَيْسَ اللَّهْوُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ تَأْدِيبِ الرَّجُلِ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتِهِ امْرَأَتَهُ وَرَمْيِهِ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ كَفَرَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَ بِهَا"[٦٦].

وبالإضافة إلى ذلك لا بد من معالجة الأسباب التي ذكرناها من قبل تحت عنوان "أسباب الهزيمة النفسية"، ولا يمكن أي تغيير إصلاحي أو اجتماعي إلا بتغيير النفس، وصدق الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾ [الرعد: ١١].

الخاتمة

مما سبق بنا من خلال هذه الدراسة يظهر لنا أن الهزيمة النفسية مرض فتاك، تسوق الأمة إلى الضياع والهلاك، ولا سبيل للنهوض بالأمة إلا بعلاج هذا المرض الخفي، ولها آثار سلبية ملموسة على نشر الدعوة الإسلامية، فعلى العلماء والدعاة أن يهتموا بهذا الموضوع، وهذه الدراسة جهد مقل في هذه القضية، توصلت من خلال هذه الدراسة إلى نتائج عديدة، ومن أهمها:

١- تعتبر نفس الإنسان حقيقته وجوهره، فإذا كانت النفس عزيمة قوية كان الإنسان شجاعا مقداما لا يتردد، وثابتا كالطود الشامخ لا يتزحزح، يواجه المحن والتحديات بعزمته وقوة نفسه، ويقتدي الناس بسيرته وأخلاقه.

٢- وإذا أصاب الإنسان الهزيمة النفسية فهذا أولى علامات السقوط، تدمر قواها من داخلها، وتحول الإنسان إلى جثة هامدة لا يتحرك ولا يعمل، ويسلم نفسه في أحضان أعدائه دون أي مقاومة، فيلعبون به كما يشاءون، وبالتالي لا يقوم بالواجبات الدعوية قط.

٣- وقد وردت النصوص الكثيرة في القرآن والسنة في النهي عن الهزيمة النفسية وفي ذمها، حتى أن القرآن الكريم عد بعض صورها كفرا وضلالا، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم هلاكا.

٤- ولخطورة هذه القضية يبذل أعداء الإسلام جهودهم بكل ما لديهم من الوسع والطاقات والتقنيات لإلقاء الهزيمة النفسية بين أبناء المسلمين وترويجها بينهم، حتى تكون الأمّة الإسلامية لقمة سائغة يمكن ابتلاعها بكل سهولة، ولا تستطيع أن تقوم بنشر هذا الدين الحنيف على الوجه المطلوب.

٥- لا يمكن النهوض بأي عمل دعوي أو تغيير إصلاحي في المجتمع إلا بإصلاح النفس وتربيتها تربية إيمانية وذاتية، تعتز بنفسه، وتحرك الإنسان إلى العمل والجهد واستمرار خطواته نحو المستقبل.

وهذا يتطلب منا:

١- أن نربي أنفسنا وأبناءنا تربية صالحة وعلمية، تقوم على عزة النفس والكرامة، وتعتز بدينه وشخصياته.

٢- وأن نعمل على زرع الثقة في نفس كل مسلم من خلال المناهج المدرسية والجامعية، فتستقر العقيدة الصحيحة في نفوسهم.

٣- وأن نستخدم الحروب النفسية ضد أعداء الإسلام، لأنها تجرد العدو من إرادته القتالية.

٤- وأن نتعود بممارسة وسائل الإعلام الحديثة من أجل نقل فكر الهزيمة إلى الأعداء.

٥- وأن ندرس أساليب أعداء الإسلام ضد الأمة الإسلامية ومتابعة إعلامهم والرد عليها.

وأخيرا نسْأل الله عز وجل الثبات في الأمر، والعزيمة على الرّشد، وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

[١] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (١٩٨٧م)، الجامع الصحيح، ط٣، بيروت، دار ابن كثير، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج١، ص٢٨، رقم الحديث: ٥٢، قال الصنعاني نقلا عن الغزالي: "لا يراد بالقلب المضغة إذ هي موجودة للبهائم، مدركة بحاسة البصر، بل المراد بالقلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهي المدركة العارفة من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمطالب". انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني، دار الكتب العلمية، ج٤، ص٣١٨، وإحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة، ج٣، ص٣

[٢] – د. صالح الرقب، (٢٠٠٣م)، واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ط٥، غزة، الجامعة الأسلامية، مكتبة الطالب، ص٣٩

[٣] – محمد فواد عبد الباقي، (١٩٩٤م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٤، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ص٩٠٦

[٤] – أبوحلاوة، د. محمد السعيد عبد الجواد، (٢٠١٣م)، الهزيمة النفسية، العدد: ٢٨، سلسلة الكتاب الإلكتروني، شبكة العلوم النفسية العربية، ص٣٥

[٥] – مقالة بعنوان: الانهزام النفسي.. أسبابه وأثره على الأمة والدعوة، نشرت بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١٤م على موقع https://www.islamweb.net/ar/article/141601

[٦] – أبو حلاوة، ص٨٤ وما بعدها.

[٧] – ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص ٦٣٨

[٨] – ابن منظور، محمد بن مكرم المصري، (بدون التاريخ) لسان العرب، ط١، بيروت، دار الصادر، مادة (هون) ج١٣، ص٤٣٨

[٩] – إبراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، إستانبول، المكتبة الإسلامية، مادة (يأس)، ص١٠٦٢

[١٠] – ابن الجوزي، ص ٦٠٠

[١١] – الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد، (بدون التاريخ)، النكت والعيون، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٣٢١

[١٢] – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، (١٩٨٧م)، معجم مقاييس اللغة، ط٢، دمشق، دار الفكر، مادة (قنط)، ج ٦، ص ٢٦

[١٣] – الراغب الإصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، (١٩٩٧م)، معجم مفردات القرأن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢٠٢

[١٤] – ابن الجوزي، ص٢٧٥

[١٥] – الراغب الإصفهاني، ص ١٦٥

[١٦] – الراغب الإصفهاني، ص٦٠٨

[١٧] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (٢٠٠٥م)، جمع الجوامع، ط٢، القاهرة، الأزهر الشريف، باب المحلى من الكاف، ج ١٥، ص ٤١٥، وحسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، رقم الحديث: ٢٠٥١

[١٨] – أحمد بن حنبل، مسند أحمد، (١٩٩٩م)، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، باب مسند فضالة بن عبيد، ج ٣٩، ص ٣٦٨، رقم الحديث: ٢٣٩٤٣

[١٩] – البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين، (٢٠٠٣م)، شعب الإيمان، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ج٢، ص٣٤٠، رقم الحديث ١٠١٩

[٢٠] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، كتاب الدعوات، باب ما يتعوذ من الجبن، ج٥، ص ١٠٣٨، رقم الحديث: ٢٦١٣

[٢١] – القشيري، مسلم بن الحجاج، (٢٠٠٥م)، الصحيح، ط٢، بيروت، دار الجيل، كتاب البر والصلة، باب النهي عن قول هلك الناس، ج٨، ص٣٦، رقم الحديث: ٦٨٥٠

[٢٢] – البغوي، عبد الله بن أحمد، (١٩٩٧م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، الرياض، دار السلام، ج ١، ص ٢١٧

[٢٣] – شفيق، منير، (١٩٨٣م)، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ط١، لندن، دار طه للنشر، ص ١٨

[٢٤] – العاني، خليل نوري مسيهر، (٢٠٠٩م)، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ط١، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، ص ١٥٢

[٢٥] – مالك بن نبي، (٢٠٠٠م)، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط١، دمشق، دار الفكر، ص ١٠

[٢٦] – ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، (١٤١١هـ)، السيرة النبوية، ط١، بيروت، دار الجيل، ج ٣، ص ٣١٦

[٢٧] – القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ج٨، ص٥٦، رقم الحديث:٦٩٤٥

[٢٨] – شفيق، منير، (١٩٨٢م)، الإسلام في معركة الحضارة، ط١، القدس، وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، ص ٨

[٢٩] – أبو داود، سليمان بن أشعث السجستاني، (١٩٩٦م)، السنن، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ج٤، ص١٨٤، رقم الحديث: ٤٢٩٩

[٣٠] – أحمد بن حنبل، باب مسند أبي بكر، ج١، ص٢٠٨، رقم الحديث: ٢٩

[٣١] – أحمد بن حنبل، باب مسند أبي بكر، ج١، ص٢٠٨، رقم الحديث: ٢٩

[٣٢] – الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، (٢٠٠٣م)، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ج ٢، ص ٤٨٠

[٣٣] – ابن خلدون، (١٩٩٨م)، المقدمة، ط١، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ص ٧٣

[٣٤] – سعيد، د. عبد الستار فتح الله، (١٩٨٩م)، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ط٥، المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ص ٤٠

[٣٥] – سعيد، د. عيد الستار فتح الله، ص ١١٦

[٣٦] – مرزوق، د. عبد الصبور، (٢٠٠١م)، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، ط١، مكة المكرمة، موسسة مكة للطباعة والإعلام، ص ٤٣

[٣٧] – المرجع السابق، ص ٢٨

[٣٨] – سعيد، د. عيد الستار فتح الله، ص ٧٩

[٣٩] – مرزوق، الدكتور عبد الصبور، ص ٩١

[٤٠] – مقالة بعنوان "أشهر حملات الاضطهاد ضد المسلمين"، نشرت بتاريخ ٩ أبريل، ٢٠١٤م، في صحيفة دنيا الوطن (صحيفة إلكترونية فلسطينية)، على موقع (www.alwatanvoice.com) وأيضا يراجع إلى كتاب "تخويف قاس: رحلة سوداء" لتوني لاغوانيس، كاليبار، نيويورك.

[٤١] – للتفصيل يراجع أبحاث المؤتمر الإسلامي والتحديات المعاصرة، ٢٠٠٧، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ص ٣٦١– ٣٦٩

[٤٢] – سيد قطب، (٢٠٠٥م)، في ظلال القرآن، ط٧، بيروت، دار الشروق، ج ٥، ص٢٣٠

[٤٣] – أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ج٤، ص١٨٤، رقم الحديث: ٤٢٩٩

[٤٤] – الشوكاني، محمد بن علي، (١٤١٤هـ)، فتح القدير، ط١، بيروت، دار ابن كثير، ج٢، ص٤١

[٤٥] – أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ج٣، ص٢٩١، رقم الحديث: ٣٤٦٤

[٤٦] – القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ج٨، ص١٠ رقم الحديث: ٦٧٠٦

[٤٧] – الترمذي، محمد بن عيسى، (٢٠٠٥م)، الجامع الصحيح، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، باب صحبة المؤمن، ج٤، ص٦٠٠، رقم الحديث: ٢٣٩٥، قال الخطابي هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة، وانظر المباركفوري في تحفة الأحوذي، ج٧، ص٦٤

[٤٨] – عوض بن محمد، (بدون التاريخ)، الضغوط النفسية في حياة الداعية، ط١، مدار الوطن للنشر، ص٤١

[٤٩] – أحمد بن حنبل، ج٢٨، ص١٥٥، رقم الحديث: ١٦٩٥٧

[٥٠] – القشيري، مسلم بن الحجاج، باب الأمر بالقوة وترك العجز، ج٨، ص٥٦، رقم الحديث: ٦٩٤٥

[٥١] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ج٦، ص٢٦٩٤، رقم الحديث: ٦٩٧٠

[٥٢] – أحمد بن حنبل، باب مسند أبي هريرة، ج١٥، ص٣٥، رقم الحديث: ٩٠٧٦، وصححه الألباني.

[٥٣] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، باب الجزية، رقم الحديث: ٢٩٨٨، ج٣، ص١١٥٢

[٥٤] – أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ٢٣٢٨، ج٤، ص١٦٩

[٥٥] – الراغب الإصفهاني، (١٩٠٠٢م)، محاضرات الأدباء، مصر، مكتبة الهلال، ج١، ص٢٠٠

[٥٦] – ابن منظور، لسان العرب، مادة "موت"، ج٢، ص٩٠

[٥٧] – ناصر بن سليمان العمر، (٢٠٠٤م)، أسباب تخلف المسلمين، ط١، مصر، المكتبة العربية، ص٣

[٥٨] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، باب ما جاء في الصحة، رقم الحديث: ٦٠٤٩، ج ٥، ص ٢٣٥٧

[٥٩] – ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (١٩٧٩م)، صفة الصفوة، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ج ١، ص ٤١٤

[٦٠] – أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ١١٤، ج ١، ص ٢٦٩

[٦١] – أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، رقم الحديث: ٤٧٦٠، ج ٤، ص ٣٨٥

[٦٢] – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، رقم الحديث: ٢٦١٠، ج ٢، ص ٣٤٠

[٦٣] – أحمد بن حنبل، رقم الحديث: ٦٦٤٧، ج ١١، ص ٢٢٧

[٦٤] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الباب العاشر، كتاب العلم، ج١، ص ١٩٢

[٦٥] – المصدر السابق، باب الاغتباط في العلم والحكمة، كتاب العلم، ج١، ص ١٩٩

[٦٦] – النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (١٩٩١م)، السنن الكبرى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، رقم الحديث: ٤٤٢٠، ج ٣، ص ٣٩

المؤلف المراسل

يمكن الاتصال بـ :محمد شاه جلال على: jalaldis@gmail.com